راهن اللغة العربية وتحدياتها في العصر الحديث

The position of Arabic language and its challenges in the modern time.

دة. نور الهدى حسني

قسم الآداب واللغة العربية- كلية الآداب واللغات- جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)

hasninour214@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/04/07 تاريخ القبول: 2018/07/28 تاريخ النشر: 2018/09/01

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى النظر في راهن اللغة العربية والبحث في أسباب تدهور اللغة العربية في مجتمعنا ، بعرض واقع استعمالها الحديث وما يتخلله من أخطاء لغوية وإملائية وتركيبية نتيجة عدة عوامل على رأسها الآثار السلبية للثورة المعرفية والتكنولوجية الحديثة، وضعف طرق التدريس المعتمدة وتوسع دائرة استعمال العامية في التواصل العادي والعلمي والمعرفي،كما نحاول بحث سبل الرقي بلغتنا وأساليب استعمالها وعلى رأسها محاولة استخدامها في مقاماتها المناسبة لها نحو التعليم في التربية والجامعة ، وفي تقديم الحصص والبرامج التي تسهم في رقي أفراد المجتمع، مع ضرورة وضع تشريعات قانونية ملزمة، تقضي باعتبار الخطأ في اللغة، ليس فقط عيباً أو مسبة بل خروجاً عن القانون.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية; التواصل ;التعليم ;تعليم العربية; اللغة.

***Abstract*:**

The aim of this study is examine the language of the Arabic language and research on the causes of the deterioration of the Arabic language in our society by presenting the reality of its modern use and its linguistic, spelling and spelling mistakes, as a result of several factors, mainly the negative effects of modern knowledge and technological revolution, We also try to discuss the ways of improving our language and methods of use, especially the attempt to use them in their suitable places towards education in education and the university, and in the provision of quotas and programs that contribute to the advancement of members of society, Establish binding legal legislation, it requires considering the error in the language, not only a defect or an insult, but a departure from the law .

***Key-words** : Arabic language ;communication ; education; Teaching Arabic; language*

تمهيد:

تعاني اللغة العربية تحديات عديدة اليوم في ظل ما يشهده العالم من تحديات ورهانات لعل أهمها الاستيلاب الثقافي واللغوي الذي مسّ أبناءها نتيجة التطور العلمي والتكنولوجي الكبير، وظهور وسائل التواصل الحديثة ممثلة في مواقع التواصل الاجتماعي وما سبّبته من ضعف في الأداء واختصار للكلمات أثر على السلامة اللغوية وبلاغة التعابير واتجه بها للأسلوب المباشر والاختصار المخل.

ثم انعكس على العامية التي كانت قريبة إلى الفصحى، فشاع الاستعمال العامّي الضعيف المختلط بحروف وكلمات من لغات أخرى فظهر هجين لغوي وامتدّ إلى التعليم.

ولا جرم أنّ كلّ محاولة لوصف وضع اللغة العربية وواقعها يعقد رهانات كثيرة منها ما يتعلق بالواقع، ومنها ما يتعلق بآليات تعليمها ومناهجها في مختلف أطوارها، ومنها ما تفرضه متطلّبات العصر من مسايرة

التّطور، فذلك من أكبر تحدياتها حتى تكون لغة المعرفة والبحث والعلم في تماش مع معطيات التعريب التي تواكب حداثة العلوم في شتى المجالات.

إنها من مقومات الأمة وأسباب استمرارها، ولأجل تحقيق وجودها الفكري وجب تفعيل أمرها في التدريس والترجمة والتعريب، فهي لغة العلم والمعرفة الإنسانية في جميع مجالاتها، بها يتواصل الإنسان وبها يُعلّم ويتعلّم ويفهم ويدرك، وتعليم اللغة العربية هو العامل الأبدي في وحدة أمتنا ووجود كيانها وإذكاء الشعور القومي.

فهي لسان أمة، وأسلوب محادثة وكتابة وعلم، فهي تعبير عن الزاد الثقافي والهوية العربية، ومنظومة شاملة واسعة وكيان حضاري يلخص تاريخ أمة ويثبت هوية كل فرد منها، وهي حلقة الوصل بين الحاضر والماضي، ينشأ الفرد واعيا بدورها وقيمتها وقيمها التي تبثها من خلال لغة الدين التي تستوعبها، ولغة الشعر التي تنقلها... وعلى الرغم من ذلك كله نجدها تعاني اليوم واقعا غير مرض يحتاج إلى رفع مستويات التوجيه والأداء والتكوين السليم لأجل تحقيق تحصيل ينهض بها ويحقق لها مكانتها بين أصحابها. فهي «اللغة الرسمية التي تنصّ عليها دساتير الوطن العربي، والرسمية في المحافل الدولية واللغة الرابعة المرشّحة للظهور بقوة في القرن الواحد والعشرين، تمتاز بخصائص مميّزة، تظهر في البنيات الصوتية والصرفية والنحوية، ولها نظام كتابي متميز، وتراث غني لا مثيل له في أية لغة من لغات البشر، وهي أقدم لغة على وجه الأرض، ولم تحدث قطيعة بين أصولها وحداثتها، ويقرأ بها تراثها دون مساعدة معجمية، كما أنّ هذه اللغة لهجات متنوعة تختلف في بعض ألفاظها أداء ودلالة من قطر عربي لآخر، وتشكل الفصحى الوسيلة المثلى للتواصل[1].

ومن أخطر ما يواجه العربية من تحديات أيضا عزوف أبنائنا عن استعمالها وتداولها، فنجدهم يقصرونها على دراسة الأدب والنصوص وتحليلها وبحث قواعدها وبلاغتها، غير مبالين بكونها لغة شمولية تربط أبناء الأمة الواحدة بلسان واحد، بل العجب أن تجد تداخلا في الاستعمال بين العامية والفصحى داخل قسم اللغة، لتصبح الفصحى رسما تُقيّد به الأنشطة الخاصة، وقد وقف "عبد الرحمن الحاج صالح" في كثير من دراساته حول واقع اللغة العربية على بعض عيوبها الحاضرة في التعليم الجزائري والتي تجعل التحصيل اللغوي ضعيفا بعيدا عن الأهداف المتوخاة منه، ومن أهم تلك العيوب التي أشار إليها نذكر:

المادة اللغوية: أهم ما يميّز المادة اللغوية عند "عبد الرحمان الحاج صالح" أنّها تنسق بطريقة تجميعية تضع المتعلّم أمام كمّ هائل من المعارف التعليمية التّعلّمية في ظرف وجيز، وسوء اختيار النماذج يوقع أمام سلبيّتين هما[2]:

-الغزارة في المادة الإفرادية.

–الخصاصة في مدلولاتها.

بمعنى أن الحصيلة اللغوية المقدّمة للطفل ألفاظا وتراكيب كبيرة جدا وكثيرة من حيث الكم (نحو الترداف الذي يزيد من ضخامة المادة اللغوية والغريب الذي لا يفقهه لا الأستاذ ولا المتعلّم) من جهة وذات معان دقيقة وخاصة لا تتناسب كثيرا مع مستواهم الدراسي فتتسبّب في تخمة لغوية لا يستوعب منها التلميذ إلا نزرا يسيرا ويضيع منها الكثير، والأدهى والأمر أنّنا نعلمه في بعض الأحيان مفاهيم لا تتناسب مع المستوى الحضاري والثقافي في عصرنا ونتجاهل ما في محيطنا من مستحدثات وجب الإلمام بها لتعلمها وتعليمها، نحو: أسماء بعض الملابس وأجزائها.

- **الجهل بكيفيات تأدية اللغة العربية**: وذلك من خلال التركيز على تلقين المعارف والبحث عن جماليات التعبير الأدبي والتكلف في ذلك يؤدي إلى الابتعاد عن حقيقة الاستعمال اللغوي القائم على السلاسة اللغوية والاقتصاد والخفة، وتدخل في ذلك مناهج اللغة وطرائقها التعليمية.

وفي محاولة لوضع اليد على بعض معيقات اللغة علاوة على ما قدمه الحاج صالح، نذكر:

1- التهرب من المحادثة الشفوية واللجوء إلى اللغة العامية: كل الدراسات تؤكد بأنّ أكبر عدو للغة هو اللهجات المحلية التي تقابل اللغة الفصحى التي يتغلب استعمالها في الحياة اليومية أو في وسائل الإعلام، أو في مقاعد الدراسة فيما يتعلق بنشاط اللغة أو غيرها من الأنشطة، ومتحدث اللغة اليوم يقف أمام تحديات كثيرة منها استعمال العامية أو الفصحى أو اللغة الأجنبية وليست جميعها صالحة لأن تكون لغة التعامل في البيت والشارع والمحيط، وهذه اللغة في استعمالها ترتكز على جانبها الشفوي الذي يعدّ الأصل في التعامل فاستعمال "اللغة هو مشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريرا: معنى ذلك أن الكلام المنطوق هو الأصل، أما لغة التحرير ففرع منه. فالمنطوق وبالتالي المسموع هو الذي يرجع إليه المتعلم للغة الحية أولا وآخرا ولا يقتصر أبدا على ما يقرأه من النصوص المحررة. فالاستعمال الطبيعي للغة يعتمد على المشافهة"3، وعملية الاكتفاء بالجانب الكتابي وحده يؤدي حسبه إلى استعمال لغة مصطنعة لتبقى منحصرة على الاستعمال الخطابي الأدبي الخاص، وكأني به يشير إلى المناهج التعليمية التي تعتمد على التلقين والتوجيه، وإن كان نظام الكفاءات يحاول تفعيل دور المتعلم بصفته مركز العملية التعليمية، وتبقى طريقة المعلم هي المتحكمة في تحقيق القاعدة الأساس للبنية التواصلية من خلال إكساب المعارف للمتعلم بعيدا عن التلقين، بالاعتماد على الطريقة الحوارية مثلا .

ولا يقتصر أمر اللغة على الجانب الشفاهي فقط بل يتدخل أسلوب التعامل والسياق التواصلي في توجيهها وتفعيلها بصفتها وسيلة تواصلية وتعاملية بالدرجة الأولى، بها يتحقق التفاعل في المجتمع، وأكبر تحدٍ يواجه

العربية اليوم هو الاعتقاد بضرورة التعامل بها في معاملات وتعاملات الحياة اليومية كالبيت والشارع والسوق والمصنع وغيرها، ولكن الحقيقة الواقعية اليوم توجب كون اللهجة العامية هي وسيلة التواصل والتعبير في كل مجالات الحياة اليومية، لتنحصر اللغة الفصحى على مجالات الدراسة والبحث والتأليف، وهي اللغة التي يجب التعامل بها في المؤسسات التعليمية والجامعية والإدارية، ليتحقق لها رسوخ في أذهان مستعمليها بالصورة الصحيحة والسّليمة تركيبا ودلالة مما يحدث تمكنا لغويا من الفصحى خاصة في أساليب التعبير لدى أبنائنا وتلاميذنا .

وما ينبغي فهمه أنّ للغة العربية مجالاتها التي لا يجب أن تنزاح عنها كالتعليم والثقافة والدين والسياسة... ولا ضير أن تقتحم "الفصحى بعض المجالات العامية، ويظهر ذلك في دخول عدد من الكلمات والتراكيب الفصيحة في لغة معاملاتنا اليومية، نتيجة انتشار التعليم ورواج وسائل الإعلام، وغير ذلك من العوامل"[4]، وهو أمر صائب وهو ما ينبغي أن يكون.

وما لا يمكن تقبله هو مزاحمة العامية للفصحى –إن صح التعبير- في مجالاتها المحددة لأن ذلك يعرض لتغلب الفرع على الأصل بحكم الكم والكيف، وأمثلة ذلك كثيرة كتدخل العامية في التعليم والإعلام والثقافة، فمن غير المعقول أن يجتهد معلّم العربية في كل المستويات وأطوار التعليم ليحاسب وحده على سوء التداول، وذلك لغياب استعمال الفصحى في أنشطة العلوم والاقتصاد والتاريخ والفلسفة والراضيات وغيرها، ونفتح قوسا لميادين حدوث ذلك فيما يخص لغة المسرح والرواية والقصة "وقد أدى هذا التقسيم في الأدوار بمرور الزمن إلى ظهور هوة شاسعة بين المستويين اللغويين اللذين كانا يمثلان أصلا واحدا دون أي مجال للشك، كما بينت ذلك مختلف الدراسات، وتتضح هذه الهوة في عدم قدرة أي شخص أن يتكلم بالفصحى بطلاقة ودون أخطاء عن أمور الحياة اليومية، كما لا يستطيع هذا الشخص أن يعبر عن القضايا العلمية والفكرية بالعامية، وقد حدث بعض التطور في هذه الوضعية خلال القرنين الماضيين"[5]

وإن هذا الأمر غير مقبول لدى كثير من الدارسين لما فيه من تداخل بين اللغة القومية وإهمالها وغيرها وما فيه من تفكيك للهوية بحضور تنوع لساني يشكل ضبابية بين اللغة الفصحى وماهية ما يكتسبه الطفل، وهذا ما نلحظه في لغة الإعلام الساخر وغيرها...

وتجدر الإشارة إلى كون اللغة العربية الفصحى تحتوي بعض الألفاظ يظنها كثير من المعلّمين والمتعلمين على حدّ سواء ألفاظا عامية، لكنها في الأصل تراكيب فصيحة شاعت في الاستعمال العامّي حتى اعتقد

البعض أنها أخطاء حين استعمالها مع الفصحى، وفي هذا يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن معلّم اللغة "يحكم على تراكيب فصيحة بالخطأ نظرا لاستعمالها في اللهجة العامية "[6].

ولو أعدنا النظر في اللغة لوجدناها استعمالا تعتمد على المشافهة أولا ثم الكتابة، وهذا ما يمنح اللغة دورا وظيفيا تتحكم فيه أطراف التواصل التي يرجع إليها أمر تيسير شأن هذه اللغة (مختصين أو عاميين).

ويرى عبد الرحمن الحاج صالح أن للغة في استعمالها مستويان[7]؛ أحدهما ترتيلي له علاقة بالمقامات الخاصة التي تلتزم بسنن العربية، وهو المستوى العالي من النظم الذي لا يصل إليه إلاّ المبدعون ومن بلغوا شأنا كبيرا من اللغة، والآخر استرسالي (فصيح لا عامي) تتطلبه الخطابات العفوية الاختزالية كالأسرية مثلا، وأكد على أن مثل ها النوع كان حاضرا في تعاملات فصحاء العرب الذي تناقلوا اللغة بالسليقة والسماع وهذا يعني أننا حاليا نقف من اللغة أمام ثلاث درجات:

أ/اللغة العربية الفصحى (النوع الترتيلي).

ب/اللغة العربية البسيطة.

ج/ اللهجة العامية.

وفي هذا الشأن يقول عبد المالك مرتاض: "العربية كمعظم اللغات الحية في العالم يستعمل علماؤها وفصحاؤها الوجوه العالية من ألفاظ اللغة، في حين يصطنع عامة المتعلمين والمثقفين لغة دون ذلك، فيتساهلون في استعمالاتهم، إمّا لأنهم لا يمتلكون الحس اللغوي الحميم، وإمّا لأنهم لا يريدون أن يتعلموا أصلا، فيجتزئون بما يستعمل بسطاء المتعلمين من ألفاظ تشيع في اللغة الإعلامية أساسا"[8].

والمعنى المنشود في الغالب من لدن الدارسين متعلّق بحضور الدرجة الأولى من التعامل اللغوي لدى أصحاب الاختصاص، بينما ننشد حضور الدرجة الثانية بين عامة الناس ويمكن حضورها في لغة المؤسسات والإدارات، لتبقى العامية خاصة بمواضع في تعاملات الناس الحياتية، وهنا يتجسد إشكال اللغة العربية التي تنتقل من الدرجة الأولى إلى الثالثة بحضور اللهجة العامية التي تبتعد كثيرا عن معايير الدقة والصواب.

فاللغة –في الجزائر مثلا- محاصرة على مستوى التداول، تداحسها اللهجات العامية، وهي مشكلة يزيد عليها عند الجزائريين حضور اللغة الأجنبية (الفرنسية)، لنقف هنا أمام حصار ثنائي للعربية (العامي والأجنبي)، قد يتعداه في بعض المناطق ليشكل حصارا ثلاثيا (عاميا، أمازيغيا، أجنبيا)، ومن سمات عناصر هذا الحصار الازدواجي أنها قد تكون سببا في تراجع نسب التعامل باللغة العربية وقد تكون سببا في ارتفاع ذلك فقط إذا تدخل أصحاب الشأن في طريقة تصريف هذا التداخل اللغوي من المراحل العمرية الأولى وبحسب أطوار التعليم المتدرجة.

2- **انصراف أبناء اللغة العربية عن دراستها وممارستها:** لعلّ من أهم أسباب ضعف اللغة العربية ابتعاد أهلها المتعلّمين عن الاحتكاك بمصادرها الفصيحة شعرا ونثرا ، فمحاكاة النماذج الراقية أولى خطوات التعلم والاكتساب السليم للغة، ناهيك عن قلة ممارسة العربية وتداولها بين أبنائها في واقعنا المعايش، وهذا ما أشار إليه الباحث "صالح بلعيد" حيث نجده يحصر أسباب ضعف اللغة إلى انصراف أبنائها عن كتب تخصصهم التراثية أو الحديثة التي وضعها علماء عرفوا بالفصاحة والبيان[9]، فاللغة العربية نالت في دراستها وبحثها ومحاولات تيسير أنشطتها وأبوابها كالنحو والصرف والمعاني والبيان ما لم تنله لغة من اللغات سواء في مجالاتها التطبيقية أو النظرية، وهنا يمكن التساؤل: هل التراجع في تداول اللغة واستعمالها مردّه صعوبتها أو تخلّي أبنائها عن التعامل بها إلا ما فرضه الاختصاص.

ويمكن القول إنّ الجهود المبذولة في التيسير والتجديد والتحليل -والتي مازالت في تجدّد دائم- قدّمت خدمات جليلة للغة العربية ولا تزال تلك الجهود قائمة نذكر منها جهود الباحثين في إطار مشروع الذخيرة اللغوية من جهة والمعجم التاريخي للغة العربية من جهة أخرى ناهيك عن المحاولات الفردية العديدة، بيد أنّ هذه الجهود لم تلق تفعيلا كبيرا لنتائجها وتناولا عمليا لما أفرزته من قرارات لغوية لتطوير وتنمية العربية واستعمالها في نطاق أوسع مما ينبئ بانحصار جهودها وحصارها في خانات ضيقة، تجعلها لا تتعدّى في تداولها أهل الاختصاص، وهو ما لا يسمح بتطوير استعمالها وتوسيع نطاقه.

ثم لو كانت اللغة العربية بهذه الصعوبة لعجز الأعجمي عن التعامل بها بل ودراستها والتأليف فيها، ولنا في كتب التراث خير دليل على أنها لغة طيعة على لسان صاحبها أيا كان اتجاهه وكيفما كان إبداعه، فالأعاجم "كانوا يتعلمون العربية ويحذقونها كلاما وخطا وفصاحة في مدة قليلة، ناهيك عن المدة التي يحتاج إليها أبناء العربية لتعلم الكتابة والقراءة"[10].

فليست المشكلة إذا صعوبة اللغة أو حاجة متعلمها إلى الوقت بل هي انصرافه عنها إلى غيرها والبعد عن دراستها وتدارسها، أو الاندماج في تخصص يهتم بها، فهي تبقى لغة المحادثة والكتابة والتعلم، و"تقلد مهنة التعليم وتدريس اللغة لا يؤدي بالضرورة إلى إقامة اللسان والتعبير بلغة عربية صحيحة وسليمة"[11].

3- المنهج وطريقة التدريس: ترجع كثير من أسباب القصور الحاصل في اللغة العربية إلى القصور الكامن في منهجها التعليمي الذي صار يبعد أبناءها عن تذوق إبداعاتها فهي لغة العاطفة والخيال ولغة الاختيار والنسيج المحكم، ولغة الرمز، ولغة الكلام الموزون.. ويعزى أمر عدم صلاحية بعض المناهج التعليمية إلى ابتعادها عن واقع المتعلمين وبيئاتهم وثقافاتهم وميولاتهم، والأصل في اللغة أن تكتسب "بالممارسة والمران

والاستخدام المستمر والاستماع إلى كل ما هو فصيح بليغ من شأنه تنمية الملكة اللغوية فقد كان ابن خلدون يقول: "والسمع أبو الملكات.."[12]

فأيّ منهج هذا الذي ينتج طالبا درس اللغة لما يقارب خمسة عشر عاما بنحوها وصرفها وبكل ما فيها من تكرار وإعادة، إلاّ أن متعلّمه "في غالب الأحيان لا يستطيع أن يعبر عن نفسه كتابة أو شفاها، بلغة عربية سليمة، وخالية من الأخطاء الفاحشة، وكذلك الحال بين عامة المثقفين، وفي وسائل الاتصال الجماهيرية، من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف ومجلات وغيرها إذ لا تكاد اللغة المحكية المكتوبة في أحسن أوضاعها تخلو من مثل هذه الأخطاء النحوية واللغوية المشينة"[13]، إذا فالسبب في ذلك كلّه مردّه إلى عدّة أمور ترتكز على الآتي:

- الإخفاق في تكوين وحدة اللغة في أثناء تعليم المهارات اللغوية إذ ليست القواعد هدفا في حدّ ذاتها وإنما هي وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، وقواعد الإملاء هي وسيلة لتقويم القلم من الخطأ في الكتابة، والقراءة والنصوص وسيلة لتزويد المتعلم بالثروة اللفظية والقوالب اللغوية، والمعاني والصور والأخيلة، ليستخدمها في تعبيره الشفوي والتحريري، وعندما تتحول الوسيلة إلى هدف وغاية يغيب الهدف المرجو من تعليم اللغة وتعلمها"[14].

- يمكن إرجاع أمر العجز أيضا إلى النصوص التعليمية المختارة التي هي مفصولة عن الحياة وواقعها، وعلى الرغم من محاولة المدرسة الجزائرية التقيد بطريقة المقاربة بالكفاءات التي تدمج المتعلم وتجعله المركز في عملية التعليم والتعلّم، إلا أنها مازالت قاصرة هي الأخرى في طريقة تجسيدها وتطبيقها داخل قاعة الدرس، فضلا عن كونها بحاجة إلى كثير من الطرائق التي تساعد على تفعيلها، فالمعلم الناجح هو من يملك القدرة على التكييف بين طبيعة الموضوع وطريقة تقديمه، ولا نعني بهذا أن يتم الاعتماد على الطريقة التلقينية التي قد تجعل المتعلم –في كثير من الحالات- مركزا على تناول المعلومة لا على اللغة المقدمة بها "ومن هنا كانت عملية اختيار محتوى المناهج اللغوية من الأهمية بما كان، إذا لابد أن تتم هذه العملية في ضوء دراسات علمية لميول المتعلمين واهتماماتهم ورغباتهم ورصيدهم اللغوي من ألفاظ وتراكيب وأنماط لغوية، تعزيزا للميول الإيجابية وتوجيها للميول المنحرفة، وغرسا لميول جديدة في ضوء ما يتفاعلون معه من نصوص لغوية شائقة ومستمدة من حياتهم الوظيفية النابضة وذات النفع الاجتماعي، على أن تتم عملية اختيار المحتوى في ضوء مبدأ الشيوع والتواتر والنفعية الاجتماعية"[15].

4- **ضعف الثروة اللغوية والاعراض عن استعمال العربية:** اللغة لابد أن تتعلم بأصولها وقواعدها بعيدا عن العاميات بأبسط طرائقها وهذا ما يجب أن يحصل في مدارسنا عن طريق التعامل باللغة واللغة وحدها، وحفظ نصوصها الفصيحة شعرا ونثرا لتعلّم صورها البديعة وأسلوبها الفصيح ثم يمكن تعلّم القواعد من خلال النصوص لا وهي منعزلة عن سياقاتها النّصية ،وهو السبيل الذي يمكِّن التلميذ من اكتساب اللغة ، إذ ليس إتقانها منوطا بالإحاطة بكل قواعدها بل القواعد مرحلة تالية للقراءة والحفظ لكل ما يثري معجم التلميذ اللغوي والمعرفي من اللغة الراقية. مما يسهم في تحسين الأسلوب وتجنيب المتعلّم الأخطاء البدائية. وبعدها نتعلّم القواعد التي تصون اللغة من اللحن والخطأ في الاستعمال تركيبا ودلالة، فيفقد التّحكم في الأسلوب اللغوي.

وللتمكن من التحكم في الأسلوب وجب إضافة لتعلّم وممارسة اللغة في مدوناتها الفصيحة ومن خلالها شعرا ونثرا ، الاطلاع على قواعد الاستعمال الفصيح "كعدم الاطلاع على القواعد أو النحو الوظيفي اللازم لحياتنا، مما يتصل بمعرفة قواعد النحو والصرف والبلاغة وعلم اللغة، ودرسها وإتقانها بما فيها من مصطلحات وحدود، فالقواعد علم له أصوله وتفريعاته ومشكلاته ومستعمله ومهجوره وكذلك علوم اللغة الأخرى".

5- **ضعف الأداء اللغوي**: يعجز العربي عن التمكن من آليات اللغة رغم مروره التعليمي على أنشطتها المختلفة، وهذا أمر يتعلق لا محالة بطريقة التقديم والمنهج المتبع، فالأعجمي مثلا يتعلّم اللغة في مدة وجيزة قد تكون ستة أشهر أو أكثر بينما يعجز عنها العربي الذي درسها لسنوات عديدة، ومع ذلك "يعجز عن إقامة لسانه والتعبير عن أفكاره بلغة صحيحة سليمة خالية من اللحن والأخطاء الفاحشة"[16].

لأجل ذلك نرى أن ضعف الأداء يحتاج إلى تشخيص لأسبابه ومحاولة تعديل منهاج التدريس وآلياته ولعلّ أولى ما يجب مراعاته هو قلة المطالعة والقراءة كونها تنمي الأسلوب وتحسّن الأداء جراء ما تُسهم به القراءة في ترسيخ كيفية رسم الكلمات في الذهن مما يعين لا شعوريا في تحسين القدرة على الكتابة بكيفية سليمة، ناهيك عما تكسبه من رصيد لغوي ومعجمي مهم، ناهيك عما تسببه مواقع التواصل الاجتماعي من حيث طريقة الكتابة فيها على الأسلوب وتندي المستوى.

6- **وسائل الإعلام والإشهار:** اللغة وسيلة الإعلام للتواصل والنقل والإخبار والمشاركة والنقد والتبسيط والتوسع "وبلا شك إن الإعلام يهدم ليبني من جديد، لكنه لا يبني دون توظيف اللغة، واللغة هي وسيلة نجاحه"[17]، وهو ينتهج سبيلين في التعامل[18]:

الأوّل: استعمال الفصحى بصفتها لغة رسمية يستعملها في الصحف والمجلات والحوارات واللقاءات الأكاديمية ويقتصر هذا الاستعمال على المختصين والمثقفين من الضيوف.

والثاني: استعمال عربية عادية كلغة التلفزة البسيطة البعيدة عن التقعير، الموجهة لجميع الطبقات، وكلاهما لابد أن يوجه التوجيه اللغوي السليم. فاللغة العربية تسير نحو الانكسار والانحسار نتيجة تخلي أبنائها وتوجههم للغات الأخرى بدافع التحضر ومواكبة متطلبات العصر، وتعلم لغات العالم أمر لا ضير فيه فقط أن لا يكون على حساب اللغة القومية التي تمثل الهوية، وللأسف فإنّ الإعلام يسهم اليوم في خلق هذا الهجين اللغوي الذي يمزج العربية بالعامية والأجنبية في تداخل لغوي صارخ يضر ولا ينفع، يشتت اللغة ولا يجمع.

والحقيقة أنّ الإعلام لا يعلّم اللغة ولو كان يساعد على تتبع أحوالها ومستجداتها، خاصة في ظل اللهو الذي تسلل إليه من خلال البرامج الساخرة والرياضية، وكل ما يعتمد على العامية في غالبه.

وقد صارت اللغة المستخدمة على مواقع التواصل الاجتماعي تنجز ضمن مستويات ثلاثة:

أ/ المستوى الأوّل يتم فيه التحاور باللغة العربية.

ب/ المستوي الثاني يتمّ فيه التحاور باللغة العامية وبحروف عربية.

ج/ المستوى الثالث يكتب فيه المتحاوران بالحروف الفرنسية مع كلمات عربية لحقها اللحن بالخطأ وتكسير اللغة، وهو فعل ينزل باللغة إلى مستوى أدنى يؤدي إلى تخلف كثير من النشء وهو ما يعمل على طمس الهوية. ذلك أنّ اتساع الفجوة بين اللغة العربية وأهلها الناطقين بها يؤدي إلى انفصام بين العرب وتراث لغتهم العريق.

وقد اقترح الحاج صالح بعض الإصلاحات في مجال الإعلام والاستعمال اللغوي من باب توحيد لغة الخطاب الترتيلي (هو الذي تستلزمه لغة الأخبار والبرامج)، ولغة الخطاب الاسترسالي (المقصود به المرتجل في النقاشات غير الأكاديمية)، إضافة إلى الاهتمام بلغة المسرح والأفلام التي تعكس واقع الحياة19، وبإمكان الإعلام ووسائل التواصل المساعدة على نهضة اللغة لو أرادت ذلك، كونها -بصفة عامة- وسيلة فعالة ومهمة في تربية النشء وتعليمه، كيف لا وهو يقضي ساعات طوال مستمعا ومشاهدا ومصغيا، أو قارئا للمجلات المختلفة والصحف، ويمكن استغلال دور الإعلام في زرع المفاهيم اللغوية الصحيحة للغة.

6- العولمة: على الرغم من الفوائد اللغوية التي تسربها العولمة لجانب العلم والبحث بإزالتها للحواجز بين الآداب إلا أنها بتطوراتها ومخرجاتها تشن حربا خفية على دور اللغة العربية ووظيفتها بما يتعلق بالإبداع

والانتماء، خاصة فيما يتعلق بتغيير المناهج، أو بكونها في منزلة متأخرة من ناحية الاستعمال داخل المؤسسات.

واللغة في عصرنا تكابد وتجاهد عدة تحديات أهمها المعطيات التي تطرحها العولمة الحديثة من جهة ومن جهة أخرى افتقارها للتقنيات الحديثة المعينة في عملية التعليم، ووضع المناهج، وهو أمر جعل مشاكلها تتراكم أمام كثرة تحدياتها مما يهيئ لنا قارئا غير مواكب للعصر لا في مصطلحاته أو في معاجمه، أو في طرائقه التعليمية التقليدية المتبعة " فلا يخفى على أحد ما تواجهه اللغة العربية في القرن الواحد والعشرين من تحديات تزداد في هذا العصر الذي نحيا فيه، عصر العلم والتكنولوجيا، عصر التفجر المعرفي والتغيير الثقافي السريع [...]، وهذه التحديات متعددة ويأتي في مقدمتها منافسة اللغة الأجنبية [...] للغة مما يؤدي إلى الاستلاب الثقافي في ظل العولمة، ويهدد القومية والانتماء للأمة العربية، وتزداد هذه الخطورة عندما نلمس عزوف الكثيرين من طلبتنا عن لغتهم القومية[...] بحجة أنها لم تواكب لغة العصر"[20].

إن اللغة وعاء للفكر والرؤية ولا بد لها من مواكبة الثورة المعلوماتية التي تبدع كل يوم شيئا جديدا، فاللغة أساس تواصلي لكل المعارف وعليها مجاراة كل ما يطرح على الساحة العلمية وغيرها، مما يضمن لها التماشي مع النهضة اللغوية والثقافية الحديثة لأنها إحدى حلقات التواصل الإنساني (في ظل ما تمتلكه من خصائص الاشتقاق والإعراب والتعريب والإدغام والشدة والرخاوة والإيجاز...)، والحقيقة أن وضع اللغة العربية اليوم ما هو إلا انعكاس للواقع الذي يشهده أصحابها، فالمعركة التي تشنها العولمة جعلت من اللغة الثانية لغة عالمية تحقق التفاعل الحضاري لا لكونها أسهل استخداما وأكثر تداولا بل هي فرض له أغراضه الخفية المعلنة.

7/ التعليم في المجتمع الجزائري(الاكتساب/التوجيه/التحصيل): دائما ما يلقى اللوم في تراجع اللغة على دارسها أو معلّمها، فلِم يوجه اللوم في أغلب الأحيان إلى المعلم الذي صار عاجزا عن التعليم في نظر عموم الناس؟، وقد طرح د.عبد السلام المسدي تساؤلا فقال: "من ينهض باللغة؟"، وقبل إجابته عن التساؤل أشار إلى ما استنتجته الدراسات والبحوث والمجامع -التي أسست أصلا من أجل الاحتماء من الغزو اللغوي- من أن "الأمر في عدد من البلاد العربية إلى أن لغة الضاد قد تدنى وضعها الاعتباري في نفوس أبنائها عمّا كان عليه أيام الكفاح الوطني ضد المستعمر..."[21].

فالظواهر اللغوية السلبية في حالة تفش إنها " تتفاقم وتتعاظم ضعفا في مناهج تعليم اللغة العربية وعجزا عن تطويرها، وانهيارا في مستوى من يتعلمون في المدارس والجامعات، وشيوعا للأخطاء الفادحة على الألسنة والأقسام في وسائل الإعلام وفي مجالات استخدام اللغة بشكل عام، وانتشارا للأسماء الأجنبية التي

أسرف الناس في إطلاقها على ما حولنا ونعيش فيه، وليس هناك من يردّهم -بالقانون وبالوعي- عن هذه الممارسات الخاطئة التي من شأنها تدمير الهوية وتشويه صورة الوطن وزعزعة الانتماء"[22].

ويمكن الرجوع بأمر ضعف اللغة لدى أصحابها إلى ضعف حضور الوعي في المراحل التعليمية، وفي مراحل التوجيه، والحقيقة أن أمر اللغة يبدأ من المراحل الأولى (التحضيري - الابتدائي - المتوسط – الثانوي- فالجامعي)، والعملية ينبغي أن توجه التلميذ نحو تلقي اللغة العربية أولا لتحصيل الملكة اللغوية الأصلية، فالتنشئة السليمة تقوم على إتقان لغة قومية بها تحفظ المعارف والعلوم وبها تسير أمور الإدارات والمؤسسات.

ولو ناقشنا مسألة التوجيه التي تلي مرحلة التحصيل الاكتسابي والإحاطة السليقية بأمور اللغة لوجدناها ذات علاقة بفكرة التحصيل اللغوي، ونعني بذلك أن التحصيل اللغوي ينطلق من مرحلتين هما:

1/ **مرحلة الاكتساب الفطري والاستعداد اللغوي**: وتبدأ من المراحل العمرية الأولى من المحيط بما فيه من أسرة وروضة وأفلام الكرتون أو الأناشيد والأغاني الموجهة، وفيها يتقن الطفل الحديث باللغة كما يتلقاها وهي المرحلة المهمة لتلقي اللغة الأم سماعا واستعمالا بعيدا عن الخوض في قواعدها وبلاغتها، وبعيدا عن محاولة مسايرتها مع لغة أجنبية ثانية.

2/ **مرحلة الاكتساب التعليمي**: وهذه المرحلة تحتاج إلى وعي وتشخيص كبيرين ففيها يتشرب المتعلم من محيط المدرسة ويأخذ تعليمه فيها من المعلم، وبإزاء ما تقدمه الطرائق والمناهج تتدخل مرحلة التوجيه التي لها علاقة بمقدار التحصيل، فمثلا في نهاية المرحلة المتوسطة يضطر المتعلم للاختيار بين تخصصين إما أدبي وإما علمي، وما يتحصل عليه في الجانب الأدبي هو بقية من فرز النخبة وصناعة الفرد، فهو إذًا تلميذ لا يمتلك مؤهلات للالتحاق بالشعب العلمية كما الأدبية، إذن مشكلة اللغة في مرحلة التكوين تبدأ من هنا.

والذي يمعن النظر يلحظ أن أهم فترة عمرية للاكتساب اللغوي تنحصر ما بين مرحلة التمهيد والمتوسط، لتليها مرحلة تعلم تقنيات اللغة ومبادئها في المرحلة الثانوية.

وبعد مرحلة التوجيه نتحصل على طالب سنة أولى جذع مشترك آداب في الغالب لا يتفوق في أي نشاط يعتمد في تحصيله على مواد التاريخ والفلسفة والعلوم الإسلامية، لتأتي مرحلة التوجيه للانتقال للسنة الثانية فيختار بين تخصصين هما شعبة الآداب والفلسفة، وشعبة الآداب واللغات الأجنبية.

وبعد المرحلة الثانية نتحصل على طالب جامعي قد يتجه إراديا نحو تخصص الآداب واللغة العربية، وقد يفرض عليه ذلك كأن لا يسعفه المعدل في اختيار شعبة أخرى، ليقف أمام اختيار تخصص أدبي أو لغوي أو نقدي، وهنا "يظهر الضعف اللغوي لدى أولئك الذين يقبلون على دراسة اللغة العربية وآدابها من طلابنا والذين فرض عليهم مجموع درجاتهم في الثانوية اختيار التخصص، فسياسة القبول في الجامعات لا تعطي اللغة العربية دور القمة في القبول، أو في مستوى التحصيل العلمي والفكري، إلا من دفعته ميوله الصادقة إلى دراسة اللغة العربية، وهؤلاء قليلون، فأكثر المنتسبين إلى قسم اللغة العربية هم ممن لم يقبلوا في الأقسام الأخرى"[23].

ثانيا: الحلول المقترحة لمواجهة التحديات وتفعيل أدوار اللغة العربية: واجهت اللغة العربية كثيرا من الصعوبات والتحديات، وهذا ليس لأنها تمثل هوية الإنسان التي بها يدرك ويتعلم ويفقه ويتواصل.. وكل ما يتدخل في تكوين شخصيته، ولأنها أول ما يضربه أي مستعمر للقضاء على ثوابت الأمة، بل لأنها قبل ذلك لغة القرآن والدين أس القومية العربية، ولأجل مواجهة تحديات اللغة العربية والنهوض بها وجب ما يلي:

* كل الندوات والملتقيات والمؤتمرات والمجمعات تتخذ أوصافا تبتعد وتفتقر للتطبيق الفعلي، واللغة العربية بحاجة إلى تطبيق التوصيات المشار إليها في المجامع اللغوية والمؤتمرات والملتقيات خاصة في مجالات التعريب والنحت وغيرها..

*بث الوعي الوطني والقومي وتفعيل دور اللغة العربية في كافة الأنشطة، مع تحمل الإعلام بعض المسؤولية في ذلك.

*إعادة هيكلة المناهج والبرامج والتنسيق بين الإدارات والمؤسسات التعليمية بأطوارها، والاعتماد على الجانب السماعي الشفاهي بداية من المراحل التعليمية الأولى بالتركيز على مهارات القراءة والاستماع والمشافهة.

*تكوين لجان تأطير لمتابعة تفعيل اللغة الفصحى في المؤسسات والإدارات بمختلف مجالاتها، وتشديد الرقابة على هيئات التدريس

*نشر الوعي بأهمية اللغة العربية وهو دور تضطلع به المدارس والجامعات والمؤسسات الإعلامية وكذا وسائل التواصل المختلفة والعمل على تنمية العامية وترقيتها للوصول بها إلى لغة قريبة من العربية الراقية، مع استعمال ألفاظ عربية سهلة التداول والاستعمال معقولة يفقهها العامي من الناس ولا تنزل به لمستوى العامية(العمل على إشاعة لغة بين المستويين الفصحى الراقية والعامية المبتذلة نسميه عربية بسيطة)

*سن قوانين تشرّع ضرورة استخدام العربية في وسائل الإعلام وتدعو إلى التواصل بها وتجريم من يخالف ذلك، وهو أمر ممكن في حالة ما تم الاعتماد في الإعلام على من يملكون كفاءة لغوية تمكنهم من التحدث بلغة سليمة لا تداخل لغوي فيها مع العامية واللغات الأجنبية.

*تكوين المعلمين وتأطيرهم وامتحان خبراتهم وقدراتهم.

*الاهتمام بلغة الإعلام وتوجيهها لتحقيق التفاعل اللغوي بين أفراد المجتمع بعيدا عن كل تداخل، لتختص كل لغة أو لهجة بمجالها.
*تكثيف عقد الندوات العلمية والتعليمية والتثقيفية التي تعلي من شأن اللغة وتمنحها حق التعامل والممارسة.
*الحرص على تتبع لغة الطالب داخل القسم، وفي بحوث الدراسة ومشاريع التخرج.
*إعادة النظر في صيغ التوجيه المدرسي، والتخصصات الجامعية.
*تفعيل دور النصوص المختارة في الكتب المدرسية وإعادة النظر فيها والتركيز على ربط الحاضر بالماضي.
*مواكبة تطورات الثورة العلمية والمعرفية ، وتوسيع حركة التعريب والترجمة.

خاتمة:

تبقى اللغة العربية لغة حية ومقوما مهما من مقومات الامة العربية الإسلامية، ومهما تعرضت لضعف وهوان نتيجة ضعف أبنائها واستيلابهم فإنها لا تزال صامدة محفوظة ، ويبقى أن ينتصر لها أهلها ويحيوا التواصل والتعامل بها على الأقل في مؤسساتنا التعليمية في التربية والتعليم العالي والمؤسسات الإعلامية كون هذه المؤسسات الثلاثة تسهم بدور كبير في تنمية الوعي بضرورة العناية باللغة وفي ترقية الاستعمال والأسلوب بجعل أفراد المجتمع تتتبّع أثرها عن قصد أو من دون قصد مثلما يحدث في حالات الاستيلاب الذي نشهده.

واللغة العربية لها من المقومات ما يسمح لها بالتطوّر والاستيعاب لكل مستحدث ، والواجب يقتضي قيامنا جميعا أفرادا ومجتمعات ومؤسسات بواجب الدفاع عن لغتنا العربية وإعادة تهيئتها مع واقعنا بما يعبر عن ذاتنا وهويتنا ويحفظ خصوصيتنا من خلالها، خاصة وأن اللغة العربية تعدّ العروة الوثقى الجامعة بين الشعوب العربية والشعوب الإسلامية التي شاركت في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية. وبهذا الاعتبار، فإن الوفاق العربي والتضامن الإسلامي، لابد أن يقوما على هذا الأساس المتين، لغة القرآن الكريم، ولغة الثقافة العربية الإسلامية. ومن هنا تبدو الأهمية الكبرى لتدعيم مكانة اللغة العربية والعمل على نشرها وتعليمها على نطاق واسع.

وذلك بتجاوز المسألة اللغوية مجالَ المناشدة والدعوة والطلب إلى الجهات المسؤولة للقيام بواجبها تجاه العربية، إلى استصدار قرارات جريئة ومسؤولة، أو وضع تشريعات قانونية ملزمة، تقضي باعتبار الخطأ في اللغة، ليس فقط عيباً أو مسبة بل خروجاً عن القانون. ذلك أن عدداً كبيراً من القرارات والتوصيات الخاصة بالحفاظ على اللغة العربية والحرص على استعمالها وتداولها وانتشارها، الصادرة عن مؤتمرات

ولجان وندوات ومجامع لغوية وكليات جامعية متعددة عقدت في البلدان العربية و الإسلامية لم تنفد، أو نفد بعضها بطريقة محدودة التأثير. فاللغة العربية قضية استراتيجية في المقام الأول، تمسّ الأمن الثقافي والحضاري للأمة.

وتبقى اللغة العربية معطى حضاريا مهما للأمة العربية والإسلامية، لكونها تمثل تراثا وتاريخا، هوية وبعدا حضاريا، ولها دور كبير في تكوين الأمة وتوحيدها وتشكيل قوميتها.

هوامش البحث:

[1] صالح بلعيد: اللغة العربية في مجتمع المعرفة، الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية (ضمن أعمال المجلس الأعلى للغة العربية 2009)http://www.csla.dz/mjls/index.php، 09:32 ، تاريخ الاطلاع: 2017/10/01.

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، (د، ط)، الجزء الأول، ص 180، وينظر: الشريف بوشحدان، الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد السابع، جوان 2010م، ص 31.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، ص 176.

[4] العياشي العربي، لغة الطفل العربي والمنظومة اللغوية في مجتمع المعرفة –الجزائر أنموذجا-، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، (د،ط)، (د، ت)، ص 107

[5] ينظر، المرجع نفسه، ص 107.

[6] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، ص 75.

[7] المرجع نفسه، ص 176، 177.

[8] عبد المالك مرتاض، نظرية اللغة العربية، تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، دار البصائر، الجزائر، 2012م، ص313، 314.

[9] ينظر، صالح بلعيد، إتقان العربية في التعليم (أعمال الندوة الوطنية للمجلس الأعلى للغة العربية)، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، مطبعة هومة، الجزائر، 2000م، ص 28، 28

[10] عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، ط1، 1986م، ص 9

[11] المرجع نفسه، ص 9.

[12] عبد الناصر بوعلي، لماذا تدنى مستوى اللغة في مدارسنا؟، مجلة الممارسات اللغوية، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 38، 2016م، ص 146

[13] عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، ص6.

[14] محمود أحمد السيد، اللغة العربية وتحديات العصر، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008م،(د، ط)، ص58،59

[15] المرجع نفسه، ص52.

[16] المرجع نفسه، ص 9.

[17] صالح بلعيد، إتقان العربية في التعليم، ص 40.

[18] ينظر، المرجع نفسه، ص 40.

[19] ينظر، عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، الجزء الأول، ص 83.

[20] أحمد علي كنعان ، اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل معالجتها، كلية التربية، جامعة دمشق، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للغة العربية "العربية لغة عالمية : مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة"، بيروت، 2012، ص 7

[21] عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي-دراسة وتوثيق-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2014م، ط1، ص 105

[22] المرجع نفسه، ص 115.

[23] أحمد علي دهمان، اللغة العربية في المؤسسات التعليمية في سورية، ندوة اللغة العربية والتعليم (مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع وزارة التعليم العالي ووزارة التربية)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 2000م، ص 613.